الفصل الخامس

عمائر الشام وبرقة وطرابلس فى عهدى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما

بنو أمية وولاية الشام:

ينتسب معاوية بن أبى سفيان[١] بن حرب إلى أمية بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى بن كلاب، وأمه هند بنت عتبة بن ربيعة بن عبد شمس بن عبد مناف بن قصى وكنيته: أبو عبد الرحمن[٢].

ولد معاوية بمكة قبل البعثة بخمس سنوات، وأسلم يوم فتح مكة[٣]، واتخذه الرسول ﷺ كاتبًا للوحى، وقد روى الحديث عن أبى بكر الصديق وعمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهم، وعن أخته أم المؤمنين حبيبة بنت أبى سفيان رضى الله عنها وروى عنه من الصحابة عبد الله بن عباس، ومعاوية بن حديج، وعبد الله بن الزبير ومروان بن الحكم، وسعيد بن المسيب[٤].

هذا وقد أبلى بنو أمية فى حرب الردة بلاءً حسنًا وسار بعضهم إلى الشام فاشتهر أمرهم وعظم ذكرهم، ومنهم يزيد بن أبى سفيان الذى ولاه الخليفة أبو بكر الصديق رضى الله عنه قيادة أحد الجيوش الأربعة التى أنفذها إلى الشام، قال الطبرى «وكان بالشام أبو عبيدة وشرحبيل بن حسنة، ويزيد بن أبى سفيان، وعمرو بن العاص، كل رجل منهم على جند وعليهم خالد بن الوليد»[٥]. (الأشكال ٣٨-٤٣).

وذكر البلاذرى فى فتوح البلدان ما نصه «وروى عن الواقدى أن أبا بكر ولى.. يزيد دمشق»[٦].

وفى موضع آخر أورد البلاذرى عند ذكره أمر حمص[٧] «وحدثنى أبو حفص الدمشقى عن سعيد بن عبد العزيز، قال: لما افتتح أبو عبيدة بن الجراح دمشق

استخلف يزيد بن أبى سفيان على دمشق، وعمرو بن العاص على فلسطين، وشرحبيل على الأردن»[٨].

وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه قد كتب إلى أبى عبيدة بن الجراح على الشام. قال البلاذرى «وكان عمر قد كتب إليه بولايته الشام وأمره الأمراء مع عامر بن أبى وقاص.. وقوم يقولون، أن ولاية أبى عبيدة الشام اتته والناس محاصرون دمشق»[٩].

ويرد ذكر معاوية بن أبى سفيان مقترنًا بأخيه عند ذكر أمر الأردن، قال البلاذرى «وقال أبو بشر المؤذن أن أبا عبيدة وجه عمرو بن العاص إلى سواحل الأردن فكثر به الروم وجاءهم المدد من ناحية هرقل وهو بالقسطنطينية فكتب إلى أبى عبيدة يستمده فوجه أبو عبيدة يزيد بن أبى سفيان فسار يزيد وعلى مقدمته أخوه ففتح يزيد وعمرو سواحل الأردن، فكتب أبو عبيدة.. وكان لمعاوية فى ذلك بلاء حسن وأثر جميل»[١٠].

وقد أمدنا البلاذرى فى رواية أخرى بتفصيل لهذه السواحل، حيث قال «أن يزيد أتى بعد فتح مدينة دمشق صيدا[١١] وعرقة[١٢] وجبيل[١٣] وبيروت[١٤] وهى سواحل وعلى مقدمته أخوه معاوية ففتحها فتحا يسير وجلا كثيرا من أهلها وتولى فتح عرقة معاوية نفسه فى ولاية يزيد»[١٥].

وفاة يزيد بن أبى سفيان وولاية معاوية:

توفى يزيد بن أبى سفيان فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فولى الخليفة عمر رضى الله عنه أخاه معاوية بن أبى سفيان ما كان لأخيه، قال الطبرى عند ذكره عمال عمر رضى الله عنه على الأمصار «وكان عامل عمر بن الخطاب رضى الله عنه ـ فى السنة التى قتل فيها وهى سنة ثلاث وعشرين.. على دمشق معاوية بن أبى سفيان»[١٦].

وقد أورد البلاذرى رواية أكثر تفصيلاً، حيث قال «وقال غير الواقدى: ولى عمر يزيد بن أبى سفيان فلسطين مع ما ولاه من أجناد الشام وكتب إليه يأمره

بغزو قيسارية.. فنهض إليها.. فقاتله أهلها ثم حصرهم ومرض فى آخر سنة ثمانى عشرة فمضى إلى دمشق واستخلف على قيسرية أخاه معاوية.. ففتحها وكتب إليه بفتحها فكتب به يزيد إلى عمر. ولما توفى يزيد بن أبى سفيان كتب عمر إلى معاوية بتوليته ما كان يتولاه فشكر أبو سفيان ذلك له وقال: وصلتك يا أمير المؤمنين رحم»[١٧].

وفى رواية أخرى أورد البلاذرى «وحدثنى هشام بن عمار، قال: حدثنى الوليد بن مسلم عن تميم بن عطية قال: ولى عمر معاوية بن أبى سفيان الشام بعد يزيد وولى معه رجلين من أصحاب رسول الله ﷺ الصلاة والقضاء: فولى أبا الدرداء قضاء دمشق والأردن وصلاتهما. وولى عبادة قضاء حمص وقنسرين وصلاتهما»[١٨].

وفى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه ولى معاوية بن أبى سفيان الشام كلها، قال البلاذرى «فلما استخلف عثمان وولى معاوية الشام وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدى إلى طرابلس»[١٩]، ثم جمع له الجزيرة فى عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م، قال البلاذرى عند ذكره فتوح الجزيرة» ثم لما ولى معاوية الشام والجزيرة لعثمان بن عفان رضى الله عنه أمره أن ينزل العرب بمواقع نائية من المدن والقرى»[٢٠] وفى موضع آخر أورد عند ذكره غزو الثغور الجزرية «لما استخلف عثمان بن عفان رضى الله عنه كتب إلى معاوية بولايته الشام وولى عمير بن سعد الأنصارى الجزيرة ثم عزله وجمع لمعاوية الشام والجزيرة وثغورهما وأمره أن يغزو شمشاط[٢١] وهى أرمينية الرابعة»[٢٢].

المسجد الجامع بدمشق (الجامع الأموى):

يعد الجامع الأموى بدمشق من روائع العمارة الإسلامية فى العصر الأموى (٤١-١٣٢هـ/ ٦٦١-٧٥٠م) وذلك فى عهد الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموى (٨٦-٩٦هـ/ ٧٠٥-٧١٥م)، ويحدثنا ابن جبير عن هذا المسجد الجامع وقت فتح دمشق (أشكال ٤٤-٤٦) فى خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنه بقوله «والوليد هذا هو الذى أخذ نصف الكنيسة الباقية منه فى أيدى النصارى وأدخلها فيه، لأنه كان قسمين: قسما للمسلمين وهو الشرقى وقسما للنصارى وهو الغربى، لأن أبا عبيدة بن الجراح ـ رضى الله عنه، دخل البلد من الجهة الغربية، فانتهى إلى نصف الكنيسة، وقد وقع الصلح بينه وبين النصارى، ودخل خالد بن الوليد رضى الله عنه من الجانب الشرقى وانتهى إلى النصف الثانى وهو الشرقى فاجتازه المسلمون وصيروه مسجدًا، وبقى النصف المصالح عليه وهو الغربى كنيسة بأيدى النصارى، إلى أن عوضهم منه الوليد، فأبو ذلك، فانتزعه منهم..»(٢٣).

مما تقدم يتضح أن المسجد الجامع كان يشغل النصف الشرقى من كنيسة القديس يوحنا التى شيدت بدورها على أنقاض معبد وثنى قديم. (شكل ٤٥، ٤٦).

قصر الخضراء:

يعد قصر الخضراء الذى شيده معاوية بن أبى سفيان من روائع العمارة المدنية بدمشق ويقع إلى الجنوب من سور الجامع، وكان بمثابة دار الإمارة، ولا يفصلها عنه إلا جدار ترك فيه بابًا لمرور الوالى أو الخليفة بعد ذلك من منزله إلى مقصورة

الجامع وأمام القصر اصطبلات أطلق عليها دار الخيل، وقد بدأ معاوية عمارته فى أثناء ولايته على الشام (٢٣-٣٥هـ/ ٦٤٣-٦٥٥م) فى عهد الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، ثم أعاد تجديد عمارته فى أثناء خلافته (٤١-٦٠هـ/ ٦٦١-٦٨٠م)، وقد عرف بالخضراء لأن القبة والجدران طليت باللون الأخضر. ومن ثم مر القصر بمرحلتين من العمارة[٢٤].

التحصينات الساحلية:

أورد السيد سابق فى فقه السنة «الجهاد، مأخوذ من الجهد، وهو الطاقة والمشقة، يقال: جاهد، يجاهد، جهادًا، ومجاهدة. إذا استفرغ وسعه، وبذل طاقته، وتحمل المشاق فى مقاتلة العدو ومدافعته، وهو ما يعبر عنه «بالحرب» فى العرف الحديث، والحرب هى القتال المسلح بين دولتين فأكثر، وهى أمر طبيعى فى البشر، لا تكاد تخلو منه أمة ولاجيل، وقد أقرته الشرائع الإلهية السابقة»(٢٥).

تطلبت مسيرة الفتح الإسلامى فى بلاد الشام ومصر والمغرب تأمين الخط الساحلى الممتد على طول البحر المتوسط من خلال ترميم وتدعيم الحصون الرومانية أو البيزطية من جهة، واستحداث حصون جديدة من جهة أخرى لتكون بمثابة قواعد دفاعية ساحلية فى مواجهة الغارات البيزنطية التى كانت تهدد مسيرة الفتوحات الإسلامية واستقرارها آنذاك.

جاء فى باب فضل الجهاد والسير فى صحيح البخارى «حدثنا الحسن بن صباح حدثنا محمد بن سابق حدثنا مالك بن مغول قال سمعت الوليد بن العيزار ذكر عن أبى عمرو الشيبانى قال قال عبد الله بن مسعود رضى الله عنه سألت رسول الله ﷺ قلت يارسول الله أى العمل أفضل قال الصلاة على ميقاتها قلت ثم أى قال بر الوالدين قلت ثم أى قال الجهاد فى سبيل الله. . .»(٢٦).

وجاء فى باب فضل رباط يوم فى سبيل الله وقول الله تعالى: يا أيها الذين أمنوا اصبروا إلى آخر الآية حدثنا عبد الله بن منير سمع أبا النضر حدثنا عبد

الرحمن بن عبد الله بن دينار عن أبى حازم عن سهل بن سعد الساعدى رضى الله عنه أن رسول الله ﷺ قال رباط يوم فى سبيل الله خير من الدنيا وما عليها، وموضع سوط أحدكم من الجنة خير من الدنيا وما عليها والروضة يروحها العبد فى سبيل الله أو الغدوة خير من الدنيا وما عليها»[٢٧].

وتعد المناظر (المراقب ـ الطلائع) من أقدم التحصينات الحربية التى أقامها العرب على الساحل الشامى، وكانت تمثل عنصرًا أساسيًا من عناصر الدفاع عن هذا الساحل، وكانت هذه المناظر تعمل طوال الفصل الدافئ من السنة، وهو الفصل الذى يمتد من إبريل إلى أكتوبر إستنادًا إلى الأساس المناخى من جهة، ومواعيد الملاحة الممكنة من جهة أخرى، وذلك بإيقاد النار فى أعلاها، وهو الإيقاد الذى يمتد بسرعة الضوء ومسافة الاشتعال، فلا تمضى ساعة على الأكثر كما يذكر محمد عبد الهادى شعيرة حتى تكون جميع المدن الساحلية المحصنة قد علمت بوجود الخطر، وعندئذ يتجمع أهل كل عرافة إلى عريفهم، ويحتشد المرابطون ويسيرون نحو مصدر الضوء حتى يصلوا إلى المنطقة المراد الدفاع عنها[٢٨].

. هذا وقد كان تحصين مدن الساحل ضرورة استراتيجية اقتضتها الظروف السياسية فى ذلك الوقت، فقد رأى المسلمون الإحتفاظ بالحصون الرومانية أو البيزنطية التى وصلت إليهم فى حالة جيدة مثل تحصينات انطاكية [٢٩] واللاذقية[٣٠] وطرابلس[٣١] وكانت انطاكية أهم هذه الحصون فى العصرين البيزنطى والإسلامى، حيث اتخذها المسلمون قاعدة للدفاع عن الحدود الشامية الشمالية، كما رأوا إعادة بناء وتدعيم الحصون المتهدمة فى ثمانى مدن، وتتمثل هذه الحصون فى بلدة[٣٢]، وأنطرطوس[٣٣]، ومرقية[٣٤]، وبلنياس[٣٥]، وصيدا، وعرقة، وجبيل، وبيروت، كذلك أعادوا بناء مدينتين هما عكا[٣٦] وصور[٣٧]، وأضاف محمد عبد الهادى شعيرة مدينتين غير المدن الواردة فى المصادر التاريخية هما جبلة[٣٨] وعسقلان[٣٩]، كذلك رأى المسلمون بناء حصون جديدة فقاموا ببناء حصن سفيان الذى شيد بين سنتى ٢٣ و ٢٥هـ/ ٦٤٣ و

٦٤٥م، وهو الحصن الذى ذكره البلاذرى فقال «وجه معاوية سفيان بن مجيب الأزدى إلى طرابلس.. فبنى فى مرج على أميال منها حصنا سمى حصن سفيان.. وحاصرهم فلما اشتد عليهم الحصار اجتمعوا فى أحد الحصون الثلاثة وكتبوا إلى ملك الروم.. فوجه إليهم بمراكب كثيرة فركبوها ليلا وهربوا، فلما أصبح سفيان وكان يبيت كل ليلة فى حصنه ويحصن المسلمين فيه[٤٠].

فتح برقة وطرابلس الغرب:

كانت برقة وطرابلس ولاية واحدة داخلة فى زمام مصر من الناحية السياسية قبل العصر الإسلامى، فانقطعت بذلك الصلات السياسية الرسمية بين هاتين الولايتين وبقية أفريقية، وقد كانت هاتان الولايتان من أكثر الولايات نشاطًا فى أوائل العصر البيزنطى، وكان أهلها أكثر أهل أفريقية ثورة ووثوبًا بالبيزنطيين، فكانت لواته ـ أعظم قبائل برقة وطرابلس ـ قائدة الثورة الكبرى فيما بين سنتى ٥٤٥ و ٥٤٦م التى انتهت بمقتل حاكم أفريقية(٤١).

هذا وقد كان تقرير فتح مصر فى مؤتمر الجابية الحربى ضرورة اقتضتها العمليات الحربية لتأمين الفتوحات الإسلامية بالشام، وبعد أن تم فتح مصر فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م عقب معاهدة الإسكندرية فى ١٦ شوال سنة ٢١هـ/ ١٧ سبتمبر ٦٤٢م أدرك القائد عمرو بن العاص أهمية فتح بلاد المغرب، حيث وجد الخطر البيزنطى مازال قائما فى أفريقية فقرر فتح بلاد المغرب، والقضاء على النفوذ البيزنطى هناك لتأمين الفتوحات الإسلامية فى بلاد الشام ومصر، وأيضًا لتطبيق سياسة الاستمرار فى الفتح نحو الغرب ونشر الإسلام، وهو أمر يدل عليه خط سير الفتوحات الإسلامية فى بلاد الشام ومصر وبلاد المغرب والأندلس(٤٢). (شكل ٤٧).

أراد والى مصر عمرو بن العاص القضاء على النفوذ البيزنطى ببلاد المغرب بعد أن تم له ذلك بمصر فبدأ أحداث الفتح الإسلامى لبلاد المغرب بعد فتح الإسكندرية، إذ أرسل والى مصر عمرو بن العاص قائده عقبة بن نافع الفهرى

فى سرية صغيرة إلى برقة (انطابلس) لاستطلاع أحوال البلاد، وكان أهل برقة آنذاك على علاقة قوية مع مصر، حتى أن بعض قبائلها كان يحسب من قبطها، وكانت الطرق بينهما مطروقة مأمونة، قال ابن عذارى بعد فتح عمرو لمصر ما نصه «ووجه منها عقبة بن نافع الفهرى إلى لوبية[٤٣] وأفريقية»[٤٤]، وبعد أن وصلت عمرو بن العاص أخبار مشجعة من قائده عقبة توجه بنفسه فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م لفتح هذه البلاد ونشر الإسلام فيها وتأمين حدود مصر الغربية[٤٥]. (شكل ٤٨، ٤٩).

سار عمرو بن العاص بجيشه حتى قدم برقة فصالح أهلها على الجزية وهى ثلاثة عشر ألف دينار، وكان أهل برقة يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها فلم يدخل برقة يومئذ جابى خراج، وبعد فتح برقة شرع عمرو فى فتح طرابلس تمهيدا للدخول فى أفريقية، وكان الأمر يستلزم جيشين أحدهما يسير بحذاء الساحل بقصد الاستيلاء على طرابلس وما يليها من مدن ساحلية مثل صرت وصبرة، والثانى يتجه نحو جوف البلاد حيث الواحات الداخلية التى تؤلف مراكز المقاومة فى قلب البلاد وأهمها فزان، وكان البربر بها من لواته ونفوسه وهوارة واشتهرت منها قبائل جرمة Cramantes أيام الرومان، فبعث عمرو بن العاص قائده عقبة إلى فزان فافتتحها ٢٢-٢٣هـ/ ٦٤٢-٦٤٣م، ثم واصل زحفه حتى بلغ زويلة[٤٦] فأصبحت المنطقة ما بين برقة وزويلة مأمونة الجانب، أما عمرو بن العاص ففتح مدينة سرت ثم زحف على لبدة[٤٧] فوجدها قليلة العمران وفتحها دون عناء، وبعث عمرو بفرقة لإخضاع ودان حين هم بالمسير إلى طرابلس وقيل عند محاصرته لها، وكانت ودان من طرابلس كفزان من برقة، وذلك فى عام ٢٣هـ/ ٦٤٣م، ثم تمكن من فتح طرابلس فى عام ٢٣هـ/ ٦٤٣م، وكانت مدينة حصينة مسورة من سائر الجهات فيما عدا الجهة الشمالية التى تطل على البحر[٤٨].

وقد كانت طرابلس تابعة وقت الفتح الإسلامى لجريجوريوس، إذا يذكر ابن

عبد الحكم عد ذكره فتح أفريقية ما نصه «وكان مستقر سلطان أفريقية يومئذ بمدينة يقال لها قرطاجنة وكان عليها ملك يقال له جرجير كان هرقل قد استخلفه فخلع هرقل وضرب الدنانير وكان سلطان ما بين اطرابلس إلى طنجة»(٤٩).

هذا وقد كانت مدينة طرابلس عندما حاصرها عمرو بن العاص فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م ذات أسوار تحيط بها من ثلاثة جوانب فى الجهات الجنوبية والشرقية والغربية، أما الجانب الشمالى فكان يشرف على البحر المتوسط مباشرة بدون سور، ويعزى عدم تحصين الجانب البحرى فى المدينة إلى سيطرة الروم سيطرة تامة على البحر المتوسط فى ذلك الوقت، ومن ثم رأى البيزنطيون عدم الحاجة إلى تحصين المدينة من الجانب البحرى، وقد أمدنا ابن عبد الحكم بصفة مدينة طرابلس بما نصه «وكان البحر لاصقا بسور المدينة ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور وكانت سفن الروم شارعة فى مرساها إلى بيوتهم»(٥٠) ونظرا لأهمية مدينة طرابلس من جهة، وللأخطار البيزنطية المحدقة بها من جهة أخرى بعد الفتح الإسلامى لبلاد المغرب تطورت تحصينات المدينة الحربية، وتمثل هذا التطور فى تشييد سور الجهة الشمالية على البحر من قبل والى أفريقية هرثمة بن أعين. وهو الأمر الذى يتضح جليا فيما أورده البكرى ونصه «وعلى مدينة اطرابلس سور صخر جليل البنيان وهى على شاطئ البحر. ولم يكن فيما بين المدينة والبحر سور.. وإنما بنى سور مدينة أطرابلس مما يلى البحر هرثمة بن أعين حين ولايته القيروان»(٥١).

وكانت مدينة طرابلس عندما حاصرها عمرو بن العاص شهرا تشتمل على حصن رومانى بيزنطى من الغرب، لذا أقام عمرو بن العاص عندما حاصرها عند مرتفع يعرف باسم القبة شرقى المدينة وهو الموضع الذى شيدت عليه القلعة العثمانية بعد ذلك.

أرسل عمرو بن العاص بعد فتحه طرابلس فرقة إلى صبرة فى عام ٢٣هـ/

٦٤٣م، وفى ذلك أورد ابن عبد الحكم ما نصه «وكان من بسبرت متحصنين فلما بلغهم محاصرة عمرو مدينة اطرابلس وأنه لم يصنع فيهم شيئا ولا طاقة له بهم امنوا فلما ظفر عمرو بن العاص بمدينة اطرابلس جرد خيلا كثيفة من ليلته وأمرهم بسرعة السير فصبحت خيله مدينة سيبرت وقد غفلوا وفتحوا أبوابهم لتسرح ماشيتهم، فدخلوها»(٥٢).

وبعد هذه الفتوح الرائعة رغب عمرو بن العاص فى فتح أفريقية فأرسل إلى الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه «إن الله قد فتح علينا اطرابلس وليس بينها وبين أفريقية إلا تسعة أيام فان رأى أمير المؤمنين أن يغزوها ويفتحها الله على يديه فعل»(٥٣) ويذكر حسين مؤنس أنه بعد فتح صبرة أرسل عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، ويضيف أنه لو وجد التقدم نحو أفريقية ميسورًا لتقدم فى غير عناء ولكن الغالب أن ما يلى صبرة من البلاد كان محصنًا بالجند، حيث وجد عمرو ضرورة الاستعانة بامدادات جديدة، وهو الأمر الذى يتضح فى ضوئه أن ما يلى صبرة من البلاد كان محل عناية جريجوريوس، وكان الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه على دراية بالأحوال السياسية فى أفريقية وثورات أهلها وغدرهم بأصحاب السلطان فآثر أن يتوقف عمرو بن العاص عند هذا الحد من الفتوحات، وكتب إليه قائلا «لا إنها ليست بأفريقية، ولكنها المفرقة، غادرة مغدور بها، ولا يغزوها أحد ما بقيت»(٥٤).

وقد أورد البلاذرى صيغة أخرى فذكر ما نصه «وكتب إليه ينهاه عنها ويقول: ما هى بإفريقية، ولكنها مفرقة غادرة مغدور بها وذلك أن أهلها كانوا يؤدون إلى ملك الروم شيئا، فكانو يغدرون به كثيرًا، وكان ملك الأندلس صالحهم، ثم غدر بهم، وكان خبرهم قد بلغ عمر»(٥٥).

ويذكر ابن عذارى «فأمر العسكر بالرحيل قافلاً إلى مصر»(٥٦)، قال ابن عبد الحكم «وقد كان عمرو يبعث الجريدة من الخيل فيصيبون الغنائم ثم يرجعون»(٥٧).

وأغلب الظن أن عمرو بن العاص طلب من الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه إمدادات لمواصلة الفتح الإسلامى فى أفريقية، إلا أن الخليفة عمر رفض بسبب الأحوال الاقتصادية السيئة التى كانت تمر بها الخلافة الإسلامية فى ذلك الوقت، كذلك فإنه من المرجح أن الخليفة عمر كتب إلى عمرو ينهاه عن غزو أفريقية حفاظا على سلامة الجيوش الإسلامية وحتى تستقر الفتوحات الإسلامية لبلاد الشام ومصر، خاصة وأن عمرو بن العاص توجه لفتح بلاد المغرب بعد فتح الإسكندرية مباشرة.

أهمية موقع برقة بالنسبة للفتوحات الإسلامية:

خرجت طرابلس عن طاعة المسلمين واحتلها البيزنطيون عقب عودة عمرو بن العاص إلى مصر، وبقيت برقة على طاعتها للمسلمين، حيث بقى بها القائد عقبة بن نافع الفهرى وحاميته العسكرية، وقضى وقته متنقلا بين قبائلها والواحات القريبة منها، فاستقر فيها الحكم الإسلامى وازدهرت بها الحضارة الإسلامية، فقد نجح عقبة فى كسب كثير من سكان البلاد من قبائل لواته ونفوسة ونفزاوة وهوارة وزواغة فدخلو فى الإسلام، ومن ثم أصبحت برقة قاعدة لجيش المسلمين فى غرب مصر(٥٨).

انصرف عمرو بن العاص عن أفريقية عائدًا إلى مصر ولبث بها حتى عزله الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه عنها بعبد الله بن سعد بن أبى سرح فى عام ٢٥هـ/ ٦٤٥م، ومنذ ذلك الحين أصبح عبد الله بن سعد حاكما على ما بقى للمسلمين من فتوحاتهم فى أفريقية قائدا على ما يخرج من الجند لإكمال الفتح فيها، فقد اعتبرت أفريقية جزءا ملحقا بولاية مصر يحكمها عامل مصر ويجبى خراجها ويقود جندها(٥٩).

بدأ عبد الله بن سعد يمهد لغزو المغرب فأخذ يبعث المسلمين فى جرائد النخل كما كانوا يفعلون فى أيام عمرو بن العاص، ثم أرسل يستأذن الخليفة عثمان بن عفان فى فتح أفريقية فندب عثمان الناس لغزوها فخرج إليها عبد الله، وكان مستقر سلطان أفريقية بمدينة قرطاجنة، وكان جيش عبد الله يتألف من عرب من الجزيرة وجند وقبط من مصر وبربر من أهل افريقية، واستقبلت برقة بقيادة عقبة بن نافع عبدا لله بن سعد وجيشه، ومنها انطلق إلى طرابلس وحاصرها أيامًا ثم

انصرف عنها، ثم حاصر قابس وانصرف عنها، حيث أفضى منها إلى تونس، وفاوض جريجوريوس عند قمونية، ثم دارت المعركة على مقربة من حصن عقوبة وانتصر المسلمون وتقدموا إلى سبيطلة، ثم عاد عبد الله إلى مصر ولم يول عليهم أحدًا ولم يتخذ بها قيروانا، وكان ذلك فى عام ٢٨هـ/ ٦٤٧-٦٤٨م[٦٠].

والواقع أن ليبيا بصفة عامة وبرقة بصفة خاصة قد اسهمت من خلال موقعها الجغرافى بدور هام وفعال فى الفتوحات الإسلامية واستقرارها فى أفريقية كما تقدم وكانت فى بداية العصر الإسلامى تنقسم إلى ولايتين كبيرتين تعرف إحداهما باسم ولاية برقة وعاصمتها برقة ـ المرج حاليًا ـ بالنسبة للجهة الشرقية، أما فيما يتعلق بالموقع الجغرافى لإقليم برقة فقد أورد ياقوت الحموى عنه ما نصه «اسم صقع كبير يشتمل على مدن وقرى بين الإسكندرية وأفريقية. واسم مدينتها انطابلس وتفسيره الخمس مدن»[٦١].

وتتمتع مدينة برقة (المرج حاليا) بموقع جغرافى استراتيجى هام، فهى تقع على الطريق الرئيسى الممتد من درنة إلى سهل بنغازى[٦٢] وما وراءه إلى الغرب والجنوب فى الطريق إلى طرابلس، وتبعد عن سهل بنغازى بحوالى مائة كم، يحدها من الشرق مدينة البيضاء، ومن الغرب مدينة توكرة وتتوسط المدينة سهلاً زراعيا خصبا تحيط به المرتفعات الجبلية من كل جانب، مما جعلها فى مأمن من الغارات البحرية البيزنطية وقد أتاح هذا الموقع المتميز للمدينة أن تصبح قاعدة عسكرية أمامية للمسلمين فى غرب مصر تستقر فيها وتنطلق منها الجيوش الإسلامية الوافدة من مصر لمواصلة الفتوحات الإسلامية فيما يليها غربا، وهو الأمر الذى يتضح جليًا فى حملة عبد الله بن سعد التى تقدم ذكرها.

تطور الاسم (انطابلس- برقة- المرج):

كانت المدينة تعرف قبل الفتح الإسلامى بأنطابلس، قال ابن خرداذبة فى المسالك والممالك «ونزلت لواته أرض برقة وهى انطابلس بالرومية وهى خمس مدائن»(٦٣) ثم اطلق عليها العرب اسم برقة بعد الفتح كما أطلقوا هذا الاسم أيضا على الإقليم الكبير الذى كان يمتد من نهاية حدود مصر الغربية حتى تاورغا، وفى ذلك قال ابن سعيد «وكانت البلاد تعرف بأنطابلس فسمتها العرب برقة لما رأتها كثيرة الحجارة المختلطة بالرمل»(٦٤). هذا وقد عرفت المدينة بالمرج منذ النصف الثانى من القرن السابع الهجرى/ الثالث عشر الميلادى حتى اليوم، فقد أمدنا ابن سعيد بنص مهم يمثل أول إشارة لهذه التسمية. حيث قال «وفى شرقيها مدينة برقة التى كانت قاعدة البلاد البرقية. ويقال لها اليوم مدينة المرج»(٦٥).

وقد عرفت المدينة بهذا الاسم لاتساعها وخصوبة أرضها وكثرة مراعيها فالمرج لغة «الأرض الواسعة فيها نبت كثير تمرج فيها الدواب»(٦٦). وقد وصفها اليعقوبى فقال «ومدينة برقة فى مرج واسع»(٦٧).

طبيعة أهل برقة:

بدأت أحداث الفتح الإسلامى لبرقة الإقليم كما تقدم عقب فتح الإسكندرية مباشرة فى عام ٢١هـ/ ٦٤٢م، من قبل القائد عقبة بن نافع، ثم لم يلبث عمرو بن العاص أن توجه إليها فى عام ٢٢هـ/ ٦٤٢م وفى ذلك قال ابن عبد الحكم «فسار عمرو بن العاص فى الخيل حتى قدم برقة فصالح أهلها على ثلثة عشر ألف دينار يؤدونها إليه جزية»(٦٨)، ويحدثنا أيضا عن أهلها من البربر فيقول

«وتقدمت لواته فسكنت أرض انطابلس وهى برقة»[٦٩]، ثم يحدثنا اليعقوبى بشكل أكثر تفصيلا عن سكانها من العرب والبربر بما نصه «ولبرقة جبلان أحدهما يقال له الشرقى فيه قوم من العرب من الأزد ولخم وجذام وصدق وغيرهم من أهل اليمن، والآخر يقال له الغربى فيه قوم من غسان وقوم من جذام والأزد وتجيب وغيرهم من بطون العرب وقرى بطون البربر من لواته من زكودة ومفرطة وزنارة[٧٠].

ويحدثنا أيضا أبن عبد الحكم عن عهد عمرو بن العاص لأهل برقة فيقول «أن انطابلس فتحت بعهد من عمرو بن العاص»[٧١]، ويضيف قائلا عن طبيعة أهلها «ولم يكن يدخل برقة يومئذ جابى خراج إنما كانوا يبعثون بالجزية إذا جاء وقتها»[٧٢]، وفى هذه الطبيعة الطيبة المسالمة التى تميز بها أهل برقة مقارنة بأهل المغرب ككل قال البلاذرى «فكانوا أخصب قوم بالمغرب.. وكان عبد الله بن عمرو بن العاص يقول: لولا مالى بالحجاز لنزلت برقة فما أعلم منزلا أسلم ولا أعزل منها»[٧٣].

فيما يتعلق بالعمارة الدينية تدل الحفائر الأثرية[٧٤] على أن موقع المسجد الجامع القديم الذى يرجع فى اعتقادى إلى عهد عمرو بن العاص كان داخل اسوار المدينة الأثرية فى المساحة الممتدة من موقع المخطوطات المكتشفة إلى موقع الزاوية السنوسية، حيث كان من الطبيعى أن يشيد عمرو بن العاص مسجدًا جامعا بالمدينة ومساجد أخرى تؤدى فيها الصلوات غير الجامعة على غرار منشآته الدينية فى حاضرة مصر مدينة الفسطاط، خاصة وأن التجانى يذكر لنا مسجدين شيدهما عمرو بن العاص بطرابلس، يقع أحدهما فى الموضع[٧٥] الذى يقوم عليه حاليا مسجد أحمد باشا القرمانللى ١١٥٠هـ/ ١٧٣٧-١٧٣٨م بما نصه «ويقابل باب الستارة المتقدم الذكر المعروف بباب عبد الله من السور القديم باب يعرف بباب هوارة. وبين يديه من داخل المدينة بطحاء متسعة يعرفونها بموقف الغنم..

وهنالك مسجد ينسب بناؤه إلى عمرو بن العاص رحمه الله»[٧٦]، ويقع الآخر بمدينة جنزور إحدى ضواحي طرابلس بما نصه «فحللنا بمنزل زنزور، فرأيت غابة متسعة الأقطار ملتفة الأشجار وبها مياه عذبة وأكثر شجرها الزيتون.. وبها مع ذلك نخل كثير.. وبها أيضا من شجر التفاح والرمان والعنب والتين كثير، وهى كثيرة القصور.. وبها جامع متسع للخطبة يذكر أن عمرو بن العاص، رحمه الله، أسسه»[٧٧]، كما أشار الحميرى[٧٨] إلى مسجد شيده عقبة بن نافع بجبل نفوسة[٧٩]، كذلك تضم مدينة غدامس[٨٠] مسجدا ينسب إلى القائد عقبة بن نافع.

هوامش وتعليقات الفصل الخامس

(١) واسم أبى سفيان صخر بن حرب. الطبرى: تاريخ، مج ٣، ص ٢٦٣ .

(٢) ذكر الطبرى أن «من نسائه ميسون بنت محدل بن أنيف بن ولجة بن قنافة بن عدى بن زهير بن حارثة بن جناب الكلبى، وولدت له يزيد بن معاوية» قال على: ولدت ميسون لمعاوية مع يزيد أمة ـ رب المشارق ـ فماتت صغيرة ومنهن فاختة ابنة قرظة بن عبد عمر بن نوفل بن عبد مناف. ولدت له عبد الرحمن وعبد الله ابنى معاوية، ومنهن نائلة بنت عمارة الكلبية، ومنهن كتوة بنت قرظة أخت فاختة، فغزا قبرس وهى معه، فماتت هنالك.

الطبرى: تاريخ الطبرى مج ٣، ص ٢٦٤ . ، ابن الأثير: الكامل، جـ٣، ص ١٢٤ .

(٣) أسلم معاوية يوم فتح مكة هو وأبوه وأخوه يزيد وأمه هند، وله من العمر ثلاث وعشرون سنة، جاء فى السيرة النبوية لابن هشام «حتى إذا جاءهم صرخ بأعلى صوته: يا معشر قريش، هذا محمد جاءكم فيما لا قبل لكم به، فمن دخل دار أبى سفيان فهو آمن».

ابن هشام: السيرة النبوية، جـ٤، ص ٤٥، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الاسلام، جـ١ ص ٢٢٧ . وقد أورد ابن تغرى بردى «وأسلم معاوية قبل أبيه فى عمرة القضاء، وبقى يخاف من الخروج إلى النبى ﷺ من أبيه» ابن تغرى بردى: النجوم، جـ١، ص١٥٣ .

(٤) قال ابن هشام عند ذكره الإسراء والمعراج «رواية معاوية: قال ابن اسحاق: وحدثنى يعقوب بن عتبه بن المغيرة بن الأخنس: أن معاوية بن أبى سفيان كان إذا سئل عن مسرى رسول الله ﷺ قال: كانت رؤيا من الله تعالى صادقة». انظر:

ابن هشام: السيرة النبوية، ص ٥٠، حسن إبراهيم حسن: تاريخ الإسلام، ج١، ص ٢٥٧ .

(٥) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج ٢، ص ٣٥٢ . ، حسن إبراهيم: تاريخ الإسلام، ج١، ص ٢٥٧ .

(٦) البلاذرى: فتوح البلدان، مكتبة الهلال، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ/ ١٩٨٣م، ص ١١٢ .

(٧) حمص: بالكسر ثم السكون، والصاد مهملة: بلد مشهور قديم كبير مسور، وفى طرفه القبلى قلعة حصينة على تل عال كبيرة وهى بين دمشق وحلب فى نصف الطريق، يذكر ويؤنث، بناه رجل يقال له حمص بن المهر بن جان بن مكنف العمليقى، وقيل: حمص بن مكنف العمليقى وقال أهل الإشتقاق: حمص الجرح يحمص حموصا وانحمص ينحمص انحماصا إذا ذهب ورمه، وهى فى الإقليم الرابع، قال أهل السير: حمص بناها اليونانيون وبحمص من المزارات والمشاهد مشهد على بن أبى طالب، رضى الله عنه وبها دار خالد بن الوليد، وقبره فيما يقال، وبعضهم يقول أنه مات بالمدينة ودفن بها وهو الأصح، وعند قبر خالد قبر عياض بن غنم القرشى، الذى فتح بلاد الجزيرة. ياقوت الحموى. مج ٢، ص ص ٣٠٢-,٣٠٣

(٨) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٣٣ . انظر أيضا: الواقدى (أبو عبد الله محمد بن عمر): فتوح الشام، دار الجيل، بيروت، ص ص ١٠٩-١١٠ .

(٩) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١١٨ .

قال البلاذرى «وحدثنى أبو حفص الدمشقى، عن سعيد بن عبد العزيز التنوخى عن عدة منهم أبو بشر مؤذن مسجد دمشق أن المسلمين لما قدموا الشام كان كل أمير منهم يقصد لناحية ليغزوها ويبث غاراته فيها فكان عمرو بن العاص يقصد لفلسطين وكان شرحبيل يقصد الأردن وكان يزيد بن أبى سفيان يقصد لأرض دمشق، وكانوا إذا اجتمع لهم العدو اجتمعوا عليه وإذا احتاج أحدهم إلى معضدة صاحبه وإنجاده سارع إلى ذلك، وكان أميرهم عند الاجتماع فى حربهم أول أيام أبى بكر رضى الله عنه عمرو بن العاص حتى قدم خالد بن الوليد الشام فكان أمير المسلمين فى كل حرب، ثم ولى أبو عبيدة ابن الجراح أمر الشام كله، وأمره الأمراء فى الحرب والسلم من قبل عمر بن الخطاب رضى الله عنه، وذلك أنه لما استخلف كتب إلى خالد بعزله وولى أبا عبيدة».

البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١١٩ .

(١٠) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ص ١١٩ - ١٢٠ .

(١١) صيداء: بالفتح ثم السكون، والدال المهملة، والمد، وأهله يقصرونه وما أظنه إلا لفظ أعجمية إلا أن أصلها فى كلام العرب على سبيل الاشتراك، قال أبو منصور: الصيداء حجر أبيض يعمل منه البرام جمع برمة، وقال النضر: الصيداء الأرض التى تربتها أجزاء غليظة الحجارة مستوية الأرض، وهى مدينة على ساحل بحر الشام من أعمال دمشق شرقى صور بينهما ستة فراسخ، قالوا سميت بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح - عليه السلام، قال هشام عن أبيه: إنما سميت صيداء التى بالشام بصيدون بن صدقاء بن كنعان بن حام بن نوح، عليه السلام، ومر أبو الحسن على بن محمد بن الساعاتى بنواحى صيداء وهى بيد الأفرنج فرأى مروجا كثيرة نباتها النرجس، وهى فى الإقليم الرابع، وقال الزجاجى: اشتقاقها من الصيد والنسبة إليها صيداوى، ومن أسمائها إربل بلفظ إربل الموصل، وذكر السمعانى أنه ينسب إليها صيدانى بالنون، وممن نسب إليها كذلك أبو الحسن محمد بن أحمد بن يحيى بن عبد الرحمن بن جميع الغسانى الحافظ الصيدانى، رحل فى طلب الحديث إلى مصر والعراق والجزيرة وفارس. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٣، ص ص ٤٣٧-٤٣٨ .

(١٢) عرقة: بكسر أوله وسكون ثانيه، وهو مؤنث المذكور آنفا: بلدة فى شرقى طرابلس بينهما أربعة فراسخ، وهى آخر عمل دمشق، وهى فى سفح جبل، بينها وبين البحر نحو ميل، وعلى جبلها قلعة لها، ينسب إليها عروة بن مروان العرقى، وإلى عرقة ينسب أبو الحسن أحمد بن حمزة بن أحمد التنوخى العرقى، طولها إحدى وستون درجة وخمس عشرة دقيقة وعرضها ست وثلاثون درجة وست عشرة دقيقة فى آخر الإقليم الرابع وأول الخامس.

(١٣) الجبيل: تصغير جبل، وجبيل: بلد فى سواحل دمشق فى الإقليم الرابع طوله ستون درجة، وعرضه أربع وثلاثون درجة، وهو بلد مشهور فى شرقى بيروت على ثمانية فراسخ من بيروت من فتوح يزيد بن أبى سفيان، ولم تزل بأيدى الفرنج إلى أن فتحها صلاح الدين يوسف بن أيوب فيما فتحه من الساحل، ورتب فيها قوما من الأكراد لحفظها، ينسب إليها جماعة منهم: أبو سعيد الجبيلى، وعبيد بن حيان الجبيلى، وزيد

بن القاسم السلمى الجبيلى، وأبو قدامة الجبيلى، وأبو سليمان إسمعيل بن خضر بن حسان الجبيلى.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٢، ص ص ١٠٩-١١٠ .

(١٤) بيروت: بالفتح ثم السكون، وضم الراء، وسكون الواو، والتاء فوقها نقطتان: مدينة مشهورة على ساحل بحر الشام تعد من أعمال دمشق، بينها وبين صيداء ثلاثة فراسخ وهى فى الإقليم الرابع، وقد خرج منها خلق كثير من أهل العلم والرواية منهم: الوليد بن مزيد العذرى البيروتى، وابنه أبو الفضل العباس بن الوليد بن مزيد البيروتى، ومحمد بن عبد الله بن عبد السلام بن أبى أيوب أبو عبد الرحمن البيروتى المعروف بمكحول الحافظ.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج١، ص ص ٥٢٥-٥٢٦ .

(١٥) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٢٩ .

(١٦) الطبرى: تاريخ الطبرى، مج٢، ص ٥٨٧، ابن العبرى: تاريخ مختصر الدول، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، القاهرة، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠١م، ص ١٠١ .

(١٧) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٢ .

قال البلاذرى فيما يتعلق بقيسارية وموت يزيد «قالوا: وكان موت يزيد بن ابى سفيان فى آخر سنة ثمان عشرة بدمشق فمن قال: أن معاوية فتح قيسارية فى حياة أخيه قال: إنما فتحت فى آخر سنة ثمان عشرة ومن قال: أنه فتحها فى ولايته الشام قال: فتحت فى سنة تسع عشرة وذلك أثبت. وقال بعض الرواة أنها فتحت فى أول سنة عشرين».

البلاذرى: فتوح، ص ١٤٤ .

(١٨) البلاذرى: فتوح، ص ١٤٢ .

(١٩) البلاذرى: فتوح ص ١٢٩ .

(٢٠) البلاذرى: فتوح، ص ١٧٨ .، عبد المتعم ماجد: التاريخ السياسى للدولة العربية (عصر الخلفاء الأمويين)، الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، ص ص ١٧-١٨ .

(٢١) ياقوت الحموى: معجم، مج ٣، ص ص ٣٦٢-٣٦٣ .

(٢٢) البلاذرى: فتوح، ص ص ١٨٣-١٨٤ .

(٢٣) ابن جبير: رحلة ابن جبير، بيروت، لبنان، ط ٢، ١٩٨٦م، ص ٢١٢ .

(٢٤) محمد محاسنة: تاريخ مدينة دمشق، الأوائل، دمشق، ط١، ٢٠٠١م، ص ص ٥٤-٥٥، سارة حسن منيمنة: مورفولوجية مدينة دمشق، مجلة الفكر العربى (مسألة المدينة والمدينة العربية)، تشرين الأول (أكتوبر)، تشرين الثانى (نوفمبر)، ١٩٨٢م، العدد التاسع والعشرون، السنة الرابعة، ٢٣٩ .

(٢٥) السيد سابق: فقه السنة، جـ٣، ص ٣٦١ .

(٢٦) البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٤، ص ١٧ .

(٢٧) البخارى: صحيح البخارى، مج٢، جـ٤، ص ٤٣ .

(٢٨) محمد عبد الهادى شعيرة: من تاريخ التحصينات العربية فى القرنين الأول والثانى للهجرة (دراسات فى الأثار الإسلامية)، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة، ١٩٧٩م، ص ص ١١-١٤، عبد الله كامل موسى عبده: دراسات فى الحضارة والآثار الإسلامية فى ليبيا، دار الآفاق العربية، الطبعة الأولى، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠٢م، ص ٨٣ .

(٢٩) انطاكية: بالفتح ثم السكون، والياء مخففة، وكانت العرب إذا أعجبها شيء نسبته إلى انطاكية، ولم تزل انطاكية قصبة العواصم من الثغور الشامية، وهى من أعيان البلاد وأمهاتها، موصوفة بالنزاهة والحسن وطيب الهواء وعذوبة الماء وكثرة الفواكه وسعة الخير، وهى بلد عظيم ذو سور وفصيل ولسوره ثلثمائة وستون برجا، وشكل البلد كنصف دائرة قطرها يتصل بجبل، والسور يصعد من الجبل، وفى رأس الجبل داخل السور قلعة.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج، ص ص ٢٦٦-٢٦٧ .

(٣٠) اللاذقية: مدينة فى ساحل بحر الشام تعد فى أعمال حمص، وهى غربى جبلة، وهى الآن من أعمال حلب، وهى مدينة رومانية قديمة فيها أبنية قديمة، وهو بلد حسن فى وطاء من الأرض وله مرفأ جيد محكم وقلعتان متصلتان على تل مشرف على الربض والبحر على غربيها وهى على ضفته.

ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ص ٥-٦ .

(٣١) طرابلس: بفتح أوله وبعد الألف باء موحدة مضمومة، ولام أيضا مضمومة وسين مهملة، ويقال اطرابلس وهى مدينة طرابلس الغرب، أما طرابلس الشام التى نحن

بصددها فهى فى الإقليم الرابع، طولها ستون درجة وخمس وثلاثون دقيقة وعرضها أربع وثلاثون درجة.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ص ٢٥-٢٦ .

مزيد من التفاصيل عن طرابلس الشام فى العصر الأموى أنظر: السيد عبد العزيز سالم: طرابلس الشام فى التاريخ الإسلامى، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ١٩٦٦م، ص ص ٣٧-٤٢ .

(٣٢) بلدة: ذكرها ياقوت من مدن ساحل بحر الشام قريبة من جبلة، من فتوح عبادة بن الصامت، ثم خرجت وجلا أهلها فأنشأ معاوية جبلة، وكانت حصنا للروم.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٨٣ .

(٣٣) انطرطوس: بلد من سواحل بحر الشام، وهى آخر أعمال دمشق ومن البلاد الساحلية، وأول أعمال حمص، وقال أبو القاسم الدمشقى: من أعمال طرابلس مطلة على البحر فى شرقى عرقة، ولها برجان حصينان كالقلعتين، فتحها عبادة بن الصامت بعد فتح اللاذقية وجبلة وكانت حصنا ثم جلا عنه أهله فبنى معاوية انطرطوس وحصنها. واقطع المقاتلة بها القطائع، وكذلك فعل بمرقية وبلنياس، وينسب إليها عمرو بن داود بن سلمون بن داود أبو حفص الأنطرطوسى.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٢٧٠ .

(٣٤) مرقية: بفتح أوله وثانية وكسر القاف، والياء مشددة قلعة حصينة فى سواحل حمص كانت خرجت فجددها معاوية، ينسب إليها إبراهيم بن هبة الله بن إبراهيم أبو إسحاق القرشى الطرابلسى المرقانى الذى قدم دمشق وحدث بها عن أبى جعفر أحمد بن كليب الطرسوسى.

ياقوت الحموى: معجم، مج٥، ص ١٠٩ .

(٣٥) بلنياس: بضمتين وسكون النون وياء وألف، وسين مهملة: كورة مدينة صغيرة وحصن بسواحل حمص على البحر.

ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٤٨٩ .

(٣٦) عكا: ذكرها ياقوت عكة بفتح أوله وتشديد ثانيه، العكة الرملة حميت عليها الشمس، وقيل العكة من الحر الفورة الشديدة فى القيظ وهى بلد على ساحل بحر

الشام من عمل الأردن وهى من أحسن بلاد الساحل فى أيامنا هذه وأعمرها، وهى حصينة كبيرة الجامع فيه غابة زيتون يقوم بسرجه وزياده، ولم تكن على هذه الحصانة حتى قدمها ابن طولون.

ياقوت الحموى: معجم، مج ٤، ص ص ١٤٣-١٤٤ .

(٣٧) صور: بضم أوله وسكون ثانية وآخره راء مدينة مشهورة سكنها خلق من الزهاد والعلماء وكان من أهلها جماعة الأئمة، كانت من ثغور المسلمين وهى مشرفة على بحر الشام داخله فى البحر وهى حصينة جديدة.

ياقوت الحموى: معجم، مج٣، ص ٤٣٣ .

(٣٨) جبلة: قال ياقوت جبلة أيضا قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب قرب اللاذقية أنشأها معاوية وكانت حصنا للروم جلوا عنه عند فتح المسلمين حمص، وشحنها بالرجال، وبنى معاوية بجبلة حصنا خارجا من الحصن الرومى القديم.

ياقوت: معجم البلدان، مج ٢، ص ١٠٥ .

(٣٩) عسقلان: بفتح أوله وسكون ثانيه ثم قاف وآخره نون وهو اسم أعجمى فيما علمت، وقد ذكر بعضهم أن العسقلان أعلى الرأس، فإن كانت عربية فمعناه إنها فى أعلى الشام، وهى مدينة بالشام من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها عروس الشام، وكذلك يقال لدمشق أيضا، وقد نزلها جماعة من الصحابة والتابعين وحدث بها خلق كثير ولم تزل عامرة حتى استولى عليها الأفرنج.

ياقوت الحموى: معجم، مج٤، ص ١٢٢ .

(٤٠) البلاذرى: فتوح البلدان، ص ١٢٩ .

(٤١) حسين مؤنس: فتح العرب، ص ٥٠ .

(٤٢) إبراهيم العدوى: مصر، ص ١١٢ . ، محمد على دبوز: تاريخ المغرب الكبير، الطبعة الأولى ١٣٨٢هـ/ ١٩٦٣م، ج٢، ص ٨٠٣ .

(٤٣) لوبية كورة من كور مصر الغربية، وهى متصلة بالإسكندرية. الحميرى: الروض، ص ٥١٤ .

(٤٤) ابن عذارى: البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب، تحقيق ج.س. كولان، وأ.ليفى بروفنسال، دار الثقافة، بيروت، الطبعة الثالثة، ١٩٨٣م، ج١، ص ٨ .

(٤٥) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب، ص ٥٥ .

(٤٦) ياقوت الحموى: معجم، مج٢، ص ص ٩٥٣-٩٥٤ .

(٤٧) لبدة: مدينة قديمة بناحية طرابلس. الحميرى: الروض، ص ٥٠٨ .

(٤٨) السيد عبد العزيز سالم: تاريخ المغرب ص ص ٦٠-٦١ .

(٤٩) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٧١ .

(٥٠) ابن عبد الحكم: فتوح مصر، ص ١٧١ .

(٥١) البكرى: المسالك والممالك، تحقيق ادريان فان ليوفن واندرى فيرى، الدار العربية للكتاب، ١٩٩٢م، ج٢ ص ص ٦٥٣-٦٥٥ .

(٥٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٢ .

(٥٣) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٣ .

(٥٤) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٣ .

(٥٥) البلاذرى: فتوح، ص ٣٠ .

(٥٦) ابن عذارى: البيان، مج ١، ص ٨ .

(٥٧) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٣ .

(٥٨) محمد محمد زيتون: القيروان ودورها فى الحضارة الإسلامية، دار المنار، القاهرة، الطبعة الأول، ١٤٠٨هـ/ ١٩٨٨م، ص ٢٣ .

(٥٩) حسين مؤنس: فتح، ص ص ٧٧-٧٨ .

(٦٠) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ص ١٨٣-١٨٧ .، حسين مؤنس: فتح، ص ص ٨٢-١٠٥ .

(٦١) ياقوت الحموى: معجم، مج١، ص ٣٨٨ .

(٦٢) فتحى أحمد الهرام: التضاريس والجيومورفولوجيا (كتاب الجماهيرية ـ دراسة فى الجغرافية) سرت ـ الطبعة الأولى، ص ١٩٩٥م، ص ١٠٥ .

(٦٣) ابن خرداذبة: المسالك والممالك، الثقافة الدينية، القاهرة، ص ٩١ .

(٦٤) محمد يوسف نجم، إحسان عباس: ليبيا فى كتب الجغرافيا والرحلات، دار ليبيا للنشر والتوزيع، بنغازى، ١٣٨٨هـ/ ١٩٦٨م، ص ٨٣ .

(٦٥) محمد يوسف نجم، إحسان عباس: ليبيا، ص ٨ .

(٦٦) ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج٥، ص ١٠٠ .

(٦٧) محمد يوسف نجم، إحسان عباس: ليبيا، ص ٨ .

(٦٨) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٠، ابن غلبون: التذكار فيمن ملك طرابلس وما كان بها من الأخيار، مكتبة النور، طرابلس، ليبيا، الطبعة الثانية، ١٣٨٦هـ/ ١٩٦٧م، ص ١٢ .

(٦٩) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٠ .

(٧٠) محمد يوسف نجم، إحسان عباس: ليبيا، ص ٨ .

(٧١) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٠ .

(٧٢) ابن عبد الحكم: فتوح، ص ١٧٠ .

(٧٣) البلاذرى: فتوح، ص ١٧١ .

(٧٣) البلاذرى: فتوح، ق١، ص ٢٦٤ .

(٧٤) انظر عن برقة وحفائرها .

Abdussaid, Adbulhamid: Barqa Modern El. Merj, Estratto Da :Libya Antiqua" The Department of Antiquties, Tripoli, 1971, Vol. VIII. P. 126., Hamdani, Abbas, Some Aspects of the History of Libya During the Fatimid Period, University of Libya, Faculty of Arts, Libya in Historical conference 16-23 March, 1968, pp. 2-21.

(٧٥) أتورى روسى: ليبيا منذ الفتح العربى حتى سنة ١٩١١م، ترجمة خليفة محمد التليسى، الدار العربية للكتاب، الطبعة الثانية، ١٤١١هـ/ ١٩٩١م، ص ١٢٢ . ، شارل فيرو: الحوليات الليبية منذ الفتح العربى حتى الغزو الإيطالى، ترجمة محمد عبد الكريم الوافى، منشورات جامعة قاريونس، بنغازى، الطبعة الثالثة، ١٩٩٤م، ص ٥٣

(٧٦) التجانى: رحلة التجانى (تونس - طرابلس ٧٠٨/٧٠٦هـ) الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس، ١٩٨١م، ص ٢٤٥ .

(٧٧) التجانى: رحلة التجانى، ص ص ٢١٤-٢١٥ .

(٧٨) الحميرى: الروض، ص ص ٤٧-٤٨ .

(٧٩) جبال فى المغرب، وهى مدينة قديمة صغيرة حولها عمارات وطوائف من قبائل البربر، وبها جامع وسوق، غزاها عقبة. ياقوت الحموى: معجم البلدان، مج ٤، ص ص ٨٠٠-٨٠١ . ، الحميرى: الروض، ص ٥٧٨ .

(٨٠) على مسعود البلوشى وآخرون: موسوعة الآثار الإسلامية فى ليبيا، أمانة التعليم، مصلحة الأثار، ليبيا، جـ ٢، ص ص ٦٧-٧٣ .

الخاتمة

وبعد فهذه دراسة تطرقت إلى موضوعات تاريخية وحضارية وأثرية فى مجال العمارة الإسلامية فى الحجاز واليمن والعراق والشام ومصر وأفريقية خلال الفترة الممتدة من السنة الأولى للهجرة حتى نهاية عصر الخلفاء الراشدين وقيام الدولة الأموية فى عام ٤١هـ/ ٦٦١م، وهى الفترة التى تشتمل على عهد الرسول ﷺ ثم عهد الخلفاء الراشدين، وفيما يلى عرض بعض ما تحقق من نتائج من خلال فصول الكتاب.

تطرق الفصل الأول إلى المسجد فى القرآن الكريم والحديث النبوى الشريف، ثم المسجد لغة وشرعًا كدراسة تمهيدية، ثم تطرق الفصل الثانى إلى ذكر المسجد الحرام فى القرآن الكريم وعمارته الهامة فى عهدى الخليفة عمر بن الخطاب والخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنهما لأهمية ذلك بالنسبة لتكامل تخطيط المسجد فى تلك الفترة من صحن أوسط مكشوف وأربع ظلات.

القى البحث الضوء أيضًا فى هذا الفصل على المسجد قبل هجرة الرسول ﷺ وفى أثناءها للرد على المستشرقين، ثم تأسيس المسجد النبوى والمراحل التى مر بها فى حياة الرسول ﷺ فى ضوء فكر الرسول ﷺ والعقيدة الإسلامية من جهة والعوامل البيئية من جهة أخرى، وفى هذا الصدد تناول البحث الرد على المستشرقين فيما يتعلق بتأسيس المساجد والمئذنة، والمنبر، وتخطيط المسجد النبوى.

ألقى البحث الضوء على دور الرسول ﷺ، وعلى المدينة المنورة وعمائرها فى عهد الرسول ﷺ لإيضاح أثر ذلك على الأمصار الإسلامية بعد ذلك، وقد

أوضح البحث من خلال هذه الدراسة تأثر استحكامات المدينة المنورة الحربية بالأسلوب الفارسى، كما ألقى البحث الضوء على عمارة المسجد خارج الحجاز فى بلاد اليمن مثل جامع صنعاء، وجامع ذمار، وجامع الجند.

وفى الفصل الثالث ألقت الدراسة الضوء على الفن المعمارى الإسلامى خلال عصر الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه، فتطرقت إلى عمارة المسجد النبوى وإنارته، ومدينة البصرة وعمائرها، ومدينة القدس ومسجدها الجامع، ومدينة الكوفة وعمائرها، ومدينة الفسطاط وعمائرها، ومقبرة مصر (القرافة)، ثم الاستحكامات الحربية، وقد أوضحت الدراسة فلسفة الخليفة عمر بن الخطاب رضى الله عنه فى كل ذلك من خلال النصوص التاريخية.

وفى الفصل الرابع ألقت الدراسة الضوء على الفن المعمارى الإسلامى خلال عصر الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه، فتطرقت إلى الزيادة العظيمة التى أجراها فى المسجد النبوى والتى تمثل البداية الحقيقية لتطور الفن المعمارى الإسلامى، كما تضمنت مناقشة حول المقاصير (مقاصير الصلاة) وعمارة المئذنة، وكذلك تطرقت لنقش المسجد النبوى وتخطيطه، وقد تم كل ذلك فى ضوء فلسفة الخليفة عثمان بن عفان رضى الله عنه من واقع النصوص التاريخية والأثرية.

هذا وقد ألقى الفصل الأخير الضوء على عمائر دمشق (المسجد الجامع والقصر) والاستحكامات الحربية القديمة الإسلامية التى شيدت لتأمين الخط الساحلى الممتد على طول البحر المتوسط فى الشام ومصر والمغرب فى عهدى عمر بن الخطاب وعثمان بن عفان رضى الله عنهما لصعوبة الفصل بينهما هذا من جهة، ومن جهة أخرى ألقت الدراسة الضوء على فتح برقة وطرابلس الغرب وأهمية برقة بالنسبة للفتوحات الإسلامية، وأهم العمائر المندثرة فى برقة وطرابلس خلال تلك الفترة.